الفصل الأول

الملك الإله

تفتقر معرفتنا للتنظيمات السياسية التى كانت سائدة فى مصر فى عصر ما قبل التاريخ والفترة المبكرة من عصر ما قبل الأسرات إلى التأكيد. وإن كان من المعتقد أنه قد قامت وحدات ضمت العديد من التجمعات والقرى كان لكل منها زعيمه الذى له السلطة عليها ويفصل بين أفرادها. تبع ذلك أن تكونت مجموعة من الأقاليم فى الدلتا والصعيد كل له اسمه وعاصمته ومعبوده أو رمزه. وأخيراً كان أن تجمعت هذه أقاليم أو مقاطعات الدلتا فى مملكة واحدة لها ملك يلبس تاجاً أحمر وعاصمتها «بوتو»[1] ومعبودها الرئيسى «حورس»[2]، وكذلك تجمعت أقاليم ومقاطعات الصعيد فى مملكة واحدة كان على رأسها ملك يلبس تاجاً أبيض وعاصمتها «نخب»[3]، ومعبودها الرئيسى «ست». وإن عُبد «حورس» فى كلتا المملكتين، ولهذا كان ملوك هاتين المملكتين يلقبون بـ «خدام حورس». هؤلاء الملوك الذين صبغهم المصريون بصبغة دينية إذ اعتقدوا أن أرواحهم بعد الموت تكون واسطة بين الناس والآلهة. وبمرور الزمن اعتبر هؤلاء الملوك أشباه آلهة، ومن هنا يمكن أن نتصور مدى ما كان لملوك هاتين المملكتين من نفوذ وسلطان.

ثم جرت محاولات أولية لتوحيد المملكتين وكان ذلك حوالى ٣٤٠٠ ق.م حيث نجحت مملكة الشمال فى القضاء على استقلال مملكة الجنوب وتحققت أول وحدة فى تاريخ مصر. غير أنه لم يقدر لهذه الوحدة أن تعيش طويلا، فكانت الوحدة الثانية على يد أحد ملوك الجنوب ويسمى «مينا» وهو الاسم الذى يحتمل أن يكون تحريفاً لاسم «نارمر» الذى يظهر على لوحة التوحيد (صورة ١) لابساً التاج المزدوج وكان ذلك حوالى ٣١٠٠ ق.م. ثم قامت الأسرة الأولى وتلتها الأسرة الثانية فى الفترة التاريخية فيما بين ٣١٠٠ – ٢٦٨٦ ق.م على وجه التقريب. وكان الملك يلقب منذ الأسرة الأولى بلقب «حور» بمجرد اعتلائه العرش أى إنه صورة حية من هذا الإله تعيش على الأرض.

---

(١) حاليا إبطو، إحدى قرى مركز دسوق.

(٢) ابن ايزيس ووارث أبيه أوزوريس، والمنتقم له من أخيه «ست» كما تقول أسطورة إيزيس وأوزوريس.

(٣) حالياً عزبة الكاب بمركز إدفو.

ولقد كان رأس الدولة وله الرئاسة العليا فى شئون التشريع والحكم والإدارة والجيش والدين. وعادة ما تنسب سلطاته العليا هذه إلى قصره الذى كان يشرف منه على رعاياه ولذلك عرف المصريون القدماء قصره باسم «برعو» أى البيت العالى.

وكان لقصر الفرعون بابان عظيمان يمثلان الملكية المزدوجة – الصعيد والدلتا، وكانت الملكية مطلقة وأساسها قدسية الملك. كما كان الملك يُلقب بأنه «حورس الحى»، وهو ليس إلهاً مثل حورس ولكنه صورة له، وهذا يعنى وجوب الخضوع التام له، فالملك بذلك هو صورة حية للإله تعيش على الأرض، والإله هو الذى يتحدث من فمه. ولقد صورت النصوص القديمة سلطاته المطلقة بما يزيد كثيراً عما عبر به بعد آلاف السنين ملك فرنسا لويس الرابع عشر فى عهد الملكية المقدسة بمثل قوله «أنا الدولة والدولة أنا».

ثم جاءت الأسرة الثالثة (٢٦٨٦ – ٢٦١٣ ق.م تقريباً) التى كانت بداية فترة الازدهار الحضارى أو فترة الدولة القديمة أو عصر بناة الأهرام. وكان «زوسر» هو الملك الذى شهد عصره حدوث طفرة كبيرة فى فن البناء، وكان وزيره أحد أبناء الشعب «ايمحتب» (صورة ٢) مضرب الأمثال فى الحكمة وبارعاً فى الهندسة فوضع تصميم الهرم المدرج وبناه فى سقارة، والذى يعد أول بناء حجرى كبير عرفه التاريخ، وذاع صيت «ايمحتب» فى الطب كذلك، وأصبح أعظم أطباء عصره وعين فى وظيفة رئيس الكهنة ومهمته خدمة الآلهة فى المعبد وتلاوة الصلوات نيابة عن الملك. وهذا الوزير الحكيم – الذى نال شهرة كبيرة لكونه منشىء فن المعمار الحجرى بدلاً من مبانى العصور القديمة المكونة من الآجر والخشب – قد اعتبره المصريون فى العصور المتأخرة راعياً للمثقفين. فكان الكُتَّاب يحرصون على أن يسكبوا قطرات من الماء تبركاً به كلما هموا بكتابة أمر خطير. كما اعتبروه ابناً للإله «بتاح» رب الفنون والصناعة. ونسبت إليه قدرات خارقة فى الطب حتى شبهه الإغريق بإله الطب عندهم «اسكليبيوس».

ويذهب البعض إلى القول بأنه عُبد فى العصر المتأخر كإله للشفاء وسمى معبده فى سقارة بالاسم الذى أطلقه عليه الإغريق «اسكلبيون Asklepieion وصار مصحة يؤمها المقعدون من جميع أنحاء مصر. وقد ظلت شهرته منتشرة وكرست له عدة أبنية فى كثير من المعابد بمنطقة طيبة (فى الكرنك والدير البحرى ودير المدينة) وجزيرة فيله حيث بنى له «بطليموس الخامس» معبداً. وكان ايمحتب بذلك وحتى ذلك الوقت حالة فريدة لفرد من أفراد الشعب أن يصل إلى هذه المكانة سواء فى عهده أم بعد مماته ويرجع ذلك إلى عبقريته الفذة ومواهبه المتعددة.

وتظل للملوك مكانتهم التى لا يرقى إليها أى فرد، وتزداد قداستهم حتىٰ نهاية الأسرة الرابعة (٢٦١٣ – ٢٤٩٨ ق.م تقريباً) والتى شهدت تنظيماً عالياً فى كل نواحى الحياة يتضح من ألقاب موظفى الملك أن هناك تقسيما للعمل، فهناك وظائف كهنوتيه ووظائف مدنية ووظائف قضائية ووظائف عسكرية ووظائف مالية. وكفاءة التنظيم الإدارى فى ذلك الوقت تدل عليه كفاءة قيادات عشرات الألوف من العمال والرؤساء الذين اشتركوا فى بناء الأهرامات.

وكانت مصر تدار من القصر الملكى فى منف حيث الملك رأس هذه الإدارة. ولقد أضيف إلى ألقاب الملك المتعددة خلال هذه الأسرة لقب «سا رع» أى ابن إله الشمس «رع». وصار ابنا لكل إله فى كل منطقة ومتحد مع هذا الإله.ولنا أن نشير إلى أن الملك كان يتخذ ألقابا تدل على علاقاته المختلفة بالآلهة.

والألقاب الكاملة للملك خمسة ألقاب يتبع كل منها اسم أو كنيه يوضح حق الملك الإلهى فى حكم جزأى مصر كبلد واحد. وكانت هذه الألقاب لا تتجاوز الثلاثة فى الأسرتين الأولى والثانية، وسجلتها الآثار كاملة منذ الدولة الوسطى، وإن رأى البعض أن ذكرها كاملاً يرجع إلى أواخر عهد الأسرة الرابعة (من ٢٦١٣ – ١٤٩٨ ق.م تقريباً)، وقد حفظتها التقاليد حتى عصر البطالمة والرومان.

وليس من بين هذه الألقاب السابقة لقب «فرعون». ذلك أنه جاء فى عصور متأخرة عن ذلك، وقد اشتق من الاصطلاح المصرى القديم «برعو» أى البيت الكبير. وكان فى البداية يقصد به القصر الملكى أو الإدارة الحكومية، على أنه استعمل منذ بداية الدولة الحديثة – خلال عهد الملك تحتمس الثالث – للدلالة على الحاكم نفسه. وقد انتقلت كلمة فرعون إلى الكتابات العبرانية ومنها إلى مفردات اللغة العربية.

وابتداء من عهد الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة الذى لقب بـ «نب ماعت» أى رب العدالة بجانب لقب آخر وهو «الملك الفاضل» وضع اسم الملك فى خرطوش لتميزه عن بقية أفراد الشعب أو للدلالة على مكانته. وقد يرمز الخرطوش والذى يمثل فى صورة انشوطة حبل بقاعدتها عقدة إلى ما ترسب فى عقيدة المصريين من أن الكون هو ما تحيط به الشمس، أو أنه يرمز إلى أن اسم الملك الذى بداخله محيط بكل شىء يدور فى مملكته أو أن الدنيا ملكاً للملك.

ومن المرجح أن الكهنة قد بدأوا يشعرون بعدم الرضا إذ إن فراعنة هاتين الأسرتين

(الثالثة والرابعة) سـخّروا الشـعب كله فى بناء الأهرامات التى ما هى إلا مقابر لهم، ولم يهتمـوا ببنـاء معابد تقام فيها تماثيـل الآلهة وتقدم لها القرابين الكثـيرة والتى تؤول فى النهاية إلى الكهنة فينعمون بها. واسـتمرار هذا يمثل تهديداً لأرزاقهم وما كان يعود عليهم من عطايا وهبات فأزمعوا تغيير الأسرة الحاكمة. وتزعّم هذه الحركة كهنة «رع» بمدينة عين شمس فأشاعوا أن «رع» كان غير راض عن الملك خوفو الذى بنى الهرم الأكبر، وكذلك سمح لابنه وحفيده ببناء الهرمين الثانى والثالث، وأن «رع» أراد أن يحكم مصر من بعدهم ملوك يفوق تقديسـهم للإله تفكيرهم فى تشييد مقابرهم الضخمة، ملوك يشيدون المعابد ويقدمون القرابين على المذابح ويكدسـونها ويجعلونها كثـيرة وافية. ورأى كهنة «رع» أن يقوموا هم أنفسـهم بتأسـيس الأسـرة التى تحكم البلاد، ولكنهم اصطدموا بالشرعية التى تقضى بأن يكون الملك من سلالة ملك.

وهنا تفتق ذهنهم عن حيلة ذكية تكسـب الملك الجديد – منهم – شرعية أقوى. وهو أن يكون الملك من سـلالة الآلهة! وقد أصبحت هذه الأسـطورة ذات أثر كبير فى علاقة الملوك بالآلهة فى كل الأسـرات التالية. وأشـار كهنة هليوبوليس: أن الإله «رع» قد اختار زوجة كبير الكهنة وجعلها تحمل منه وتلد بمساعدة الآلهة ثلاثة أبناء هم باكورة جيل جديد من الملـوك أعطاهم خنوم «رب الخلق» أعضاء قوية وأعطتهم «إيزيس» أسماءهم وجعلتهم الآلهة ملوكاً حقيقيين سيتقلدون المُلك فى هذه البلاد بأجمعها. وهكذا تولّى المُلك هؤلاء الملوك الثلاثة الواحد تلو الآخر باسم «أوسركاف» و «ساحورع» و «كاكاى» وهم أول ملوك الأسرة الخامسة. وبهذا صار جميع الفراعنة بدءاً من الأسرة الخامسة يدّعون أنهم من نسل الآلهة.

هذا الانقلاب الدينى زاد من نفوذ الكهنة كثيراً وخاصة كهنة «رع» فى هليوبوليس وزاد مـن تدخلهم فى الأمور الدينية والدنيوية. وعلى الرغم من أن ملوك هذه الأسـرة اسـتمروا فـى بناء الأهرامات كأسـلافهم – ربما حتـى لا يكونوا أقل شـأناً – إلا أن عنايتهم بها قلت كثيراً فكانت أهراماتهم صغيرة الحجم (هرم أوسـركاف ٤٩ متراً وهرم سـاحورع ٤٨ متراً) ولكنهم زادوا من اهتمامهم بالمعابد، وإن كان آخر ملوك هذه الأسـرة «ونيس» قد قدم ما عوض ضآلة حجم هرمه بتزيين جدران حجرة الدفن والقاعة المؤدية إليها بنصوص دينية وأسطورية نعرفها باسم «متون الأهرام»، أما سقف الحجرة فزينوه بأشكال النجوم حتى بدا كقبـة سماوية تظل جثة الفرعون وتحتويها. وبعـد أن كانت المعابد جنازية ومقامة بجوار الأهرامات محجوبة عن الشعب أصبحت مكشوفة للناظرين وأقيمت مسلة ضخمة على هرم ناقص، وكانت المسلة هى رمز إله الشمس «رع».

وارتفع نجم «رع» كثيراً وأصبح اسمه يضاف إلى أسماء الآلهة الأخرى، سوبك رع – مونت رع – خنوم رع وهكذا.... وبلغ إله الشمس فى شخصيته الجديدة «ملك الآلهة» أسمى درجات التقدير حتى إن «آمون» نفسه إله طيبة أصبح اسمه «آمون رع». وبالطبع كثرت المعابد وكثرت القرابين وزاد الكهنة ثراءً وقوة وخاصة كهنة «رع». واهتم ملوك هذه الأسرة بمعبد إله الشمس فى عين شمس، كما أقاموا على نسقه ستة من المعابد لهذا الإله. ولم يضع المصريون فى معابد إله الشمس تماثيل ولم يقيموا بها محاريب مغلقة. وكانوا يتوجهون بدعائهم مباشرة إلى قرص الشمس فى السماء وكانوا يقدمون القرابين شرق مسلته واستمرت هذه المظاهر تميز عبادة الشمس عن غيرها من عبادات بقية الآلهة فى مصر القديمة. وقد حرص الملوك على تزيين جدران المعابد بكل ما يرمز إلى قدرة إلههم وعظمته وأثره فى الحياة.

واستمرت مكانة الملك ابن الآلهة قوية لها المهابة والتقديس حتى شهدت مصر تطورات سياسية واجتماعية بعد عهد الملك «تتى» مؤسس الأسرة السادسة (٢٣٤٥ – ٢١٨١ ق.م تقريباً) حيث علت مكانة كبار الموظفين وازدادت سلطة الوزير واتسعت أكثر كما زاد نفوذ حاكم الصعيد وحكام الأقاليم، وطفت على السطح محاولات للاستقلال عن سلطة الملك والدولة. وبدا الملك عاجزا عن وقف هذا التيار، وإزاء ذلك حاول الملوك أن يقللوا آثاره الضارة عن طريق زيادة التودد لهؤلاء الحكام.

ومع نهاية هذه الأسرة تزايد ضعف الملوك ولم يعد يربط أغلب حكام الأقاليم بالعرش سوى ولاءٍ شكلى، ثم تفككت السلطة المركزية على أثره لتدخل مصر فى عصر جديد من الاضطراب والتفكك يعرف بعصر الاضطراب الأول وشمل الأسرات من السابعة وحتى العاشرة.

وكانت الأسرة السابعة (٢١٨١ – ٢١٧٣ ق.م تقريباً) لا تزيد عن كونها تجمعا من النبلاء تمركز فى منف فى الشمال فى محاولة لأن يمسكوا معاً بالسلطة المركزية المنهارة. أما الأسرة الثامنة (٢١٧٣ – ٢١٦٠ق.م تقريباً) فقد مارس ملوكها بعض السيطرة من منف على عدد من أقاليم الجنوب تمتد حتى «قفط» التى عثر فيها على نصوص تحمل أسماءهم. أما باقى مصر فقد استقل حكام الأقاليم بالحكم فيها بل وتحولوا بمرور الوقت إلى أمراء وراثيين.

على أن الإقليم الذى كانت له الريادة فى محاولة توحيد مصر كان الإقليم الثانى عشر من أقاليم مصر العليا وعاصمته هيراكوبوليس (مدينة أهناسيا الواقعة عند مدخل الفيوم). فقد عاصر نهوض الحكم فى هذا الإقليم انهيار الأسرة الثامنة ليبدأ عصر جديد يسمى بالعصر

الأهناسى شمل الأسرتين التاسعة والعاشرة أى فى الفترة بين (٢١٦٠ – ٢١٣٠ ق.م. تقريباً). وتضم الأسرتان ١٩ ملكاً حكموا من أهناسيا لم ينجحوا جميعاً فى فرض سيطرتهم على كل الأقاليم وإن كانوا قد أقاموا نظاماً قوياً وثابتاً فى الجزء الشمالى من البلاد.

وكان حكام طيبة قد نجحوا فى الاحتفاظ باستقلال إقليمهم عن الحكومة المركزية فى أهناسيا وإن اعترفوا لها بالولاء الاسمى. ثم نجحوا بعد ذلك فى فرض سيطرتهم على كل أقاليم الجنوب ليدب بعد ذلك صراع طويل بينهم وبين ملوك أهناسيا فى الشمال ينتهى بانتصارهم عليهم. ويتم توحيد البلاد تحت سيطرتهم على يد ملك يدعى «منتوحتب نب حبت رع» الذى يبدأ بعهده عهد جديد على مصر وهو عصر الدولة الوسطى. وشملت حكم الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة أى من ٢١٣٣ – ١٧٨٦ ق.م تقريباً.

ولم يكن الملك فى بداية الدولة الوسطى يسيطر على الدولة بصفته إلها يحيا على الأرض أو ابنا للإله كما كان فى الدولة القديمة. فلم تكن أرض مصر كلها ملكاً للملك، وإن كان يحكم البلاد من أقصاها إلى أقصاها، ولكن ليس بنفس القدسية والقوة التى كانت له فى عهد الدولة القديمة. وقد يرجع السبب فى ذلك إلى أن مصر فى هذه الفترة كانت تتكون من مجموعة من ولايات إقطاعية مفككة يتمتع حكامها بنفوذ واسع. ولم يكن من السهل القضاء على نفوذ وسلطان حكام الأقاليم فى بداية هذه الدولة بل كان من الصعب القضاء التام على سلطانهم. وكان من نتيجة ذلك أن سقط الملك فى عصر الاضطراب الأول (السابق) وبداية الدولة الوسطى من عليائه الإلهية لكونه منسوبا للآلهة أو ابناً لهم أو مكانته المحاطة بالرهبة والقدسية وأصبحت له هيبة الحاكم فقط.

ولقد تمكن الملوك العظام فى هذه الدولة من تجميع السلطة فى أيديهم ونشر العدل. وفضلوا لأنفسهم أسماء تعبر عن رغبتهم بأن يكون الحق والعدل «ماعت» رائدهم. فتكررت كلمة «ماعت» فى نصوص الأسرة الثانية عشرة، كما تكررت كلمة «الصدق» أو «العدل» فى نصوص هذه الفترة. فقد اتخذ أمنمحات الثانى مثلاً اسم «الذى يسره العدل» و «ذو الصوت الصادق». وفضَّل سنوسرت الثانى لقب «الذى يرفع شأن العدل»، أما أمنمحات الثالث فعرف باسم «المنتهى إلى عدل رع»، وكان لقب أمنمحات الرابع «رع هو صادق الصوت». ولقد فضَّل ملوك هذه الأسرة أن تكون «ماعت» رائدتهم فقدموها قربانا للآلهة ومنحة للبشر.

ولقد كانت ماعت تجسيداً للعدالة والحقيقة. وصورت فى هيئة امرأة رشيقة صغيرة جالسة وتضع ريشة نعامة فوق رأسها واستعمل هذا الرمز فى كتابة اسمها. وكانت كذلك

صنجـة الحـق توضع فى الميزان لوزن قلب الميت عند المحاكمة لمعرفة ما إذا كان «ماعتيا» أى يطابق ماعت أو إنسـان خيّر ، فيقارن قلب الشـخص الميت عند المحاكمة بالحقيقة. وكان الوزيـر ، الـذى هو رئيس كافة المحاكم فى مصر، «كاهـن ماعت» وكان يتكلم بناءً على وحيها، فلا يكذب. وفضلاً عن استعمال كلمة ماعت للتعبير عن صور كثيرة للحقيقة واستعمالاتها القضائية فإنها كانت تصف شيئاً آخر أعظم من ذلك بكثير فكانت تطلق على توازن العالم كله وتعايش جميع عناصره فى انسجام.

وتعرضت مصر منذ الأسـرة الثالثة عشـرة (من ١٧٨٦ – ١٦٣٣ ق.م) وطوال قرنين أى حتى الأسـرة السابعة عشـرة (من ١٦٥٠ – ١٥٦٧ ق.م) للضعف والانحلال واجتازت فترة أخرى مظلمة كانت أشـد من تلك التى تلت انهيـار الدولة القديمة فى الاضطراب الأول، فتحكم فيها ملوك ضعاف أسسـوا الأسـرة الثالثة عشرة. وهى أسـرة تكونت كما نقل عن مانيتون[1] من ٦٠ ملكاً حكموا فى طيبة فى الجنوب فترة ٤٥٣ سـنة. تلتها الأسرة الرابعة عشرة وتكونت من ٧٦ ملكاً واتخذوا من مدينة «سخا» فى غرب الدلتا عاصمة لهم، وحكموا ١٨٤ سنة.

أما الأسـرة الخامسة عشرة فتكونت من ستة ملوك من ملوك الهكسوس الغزاة، وحكموا فترة ٢٨٤ سنة.

وتكونت الأسـرة السادسـة عشرة من ٣٢ ملكاً من ملوك الهكسـوس أيضا وحكموا فترة ٥١٨ سـنة. ولم يسـتطع ملوك الهكسـوس فى الأسـرة السابعة عشـرة التحكم فى جميع الأراضى المصرية وذلك بعد أن اشـتعلت روح الوطنية لتحرير مصر، واسـتطاع أبناء مصر فى طيبة حماية الصعيد من المسـتعمر ولم يبق أمام الهكسـوس إلا الاكتفاء بشرق الدلتا وإن امتد نفوذهـم فشـمل الدلتا بأكملها. وكان عدد ملوك هذه الأسـرة طبقـاً لمانيتون ٤٣ ملكاً حكموا ١٥١ سنة.

وتنتهـى هذه الفترة من تاريخ مصر بانتصار المصريين فى الجنوب على الهكسـوس فى

---

(١) هـو كاهـن من مدينة سمنود عاصر الملك بطليموس الثانى (٢٨٣ – ٢٤٥ ق.م) وكان على جانب كبير من الثقافة وملمـاً باللغتـين المصرية القديمة واليونانية ومتعمقاً فى الديانة والتاريخ المصـرى القديم. وقد كلفه الملك بطليموس بكتابة تاريخ مصر، وقد اعتمد أغلب الظن فى كتابة تاريخه لمصر على القوائم السـابقة بالإضافة إلى ما كان موجوداً فى المعابد من وثائق تاريخية مختلفة. وقد ظهر كتابه باللغة اليونانية تحت اسم Aigiptiaka، بدأ فيه بتاريخ مصر بحكم الآلهة فأنصاف الآلهة وقسـم التاريخ إلى ثلاثين أسـرة تبدأ من الملك مينا وتنتهى بدخول الاسـكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ ق.م. وكان تاريخه بمثابة البحث الأكبر والجامع عن تاريخ أجداده.

الشـمال ليبدأ عصر جديد هو عصر الدولة الحديثة، وكان ذلك على يد الملك أحمس الأول مؤسـس الأسـرة الثامنة عشرة (من ١٥٦٧ – ١٣٢٠ ق.م). وتشمل هذه الدولة الأسرات من الثامنة عشرة إلى العشرين (من ١٥٦٧ – ١٠٨٥ ق.م).

ومع امتداد النفوذ المصرى وتوسـع الإمبراطورية فى الدولة الحديثة اضطر الملك أن يلقى عبء السـلطة، بعد أن كان سـيد البلاد المطلق فى الدولة القديمـة، إلى عدد من الموظفين الكبار فى الدولة. وكان أهم هؤلاء الموظفين كبير كهنة الإله آمون فى معابد الكرنك، ووزير الوجـه البحـرى، ووزير الوجه القبلى ونائب الملك فى كوش فى الجنوب والذى اتخذ بعد ذلك لقب «ابن الملك فى كوش». وهى وظيفة أمر الملك أحمس بإنشـائها ليتحمل شـاغلها مسـئولية حكم بلاد النوبة وحماية مناجم الذهب بها والدفاع عنها والحفاظ عليها. وغالباً مـا كان يتـولى هذه الوظيفة ولى العهـد ليتمرن على الإدارة فيها. بينمـا كانت وظيفة قائد الجيش ومسئولية توسع الإمبراطورية فى آسيا من مسئوليات الملك الحاكم.

ولم يكـن لسـلطات هؤلاء الموظفين أو أصحاب الوظائف العليـا أى نفوذ طالما كان الملك الحاكـم قويـا، أما إذا كان ضعيفاً عاجزاً عن موازنة السـلطة، فغالبـاً ما يحاول معاونوه الأقوياء انتزاع هذه السـلطة والاحتفاظ بها. وكان يعمل تحت رئاسـة الملك وكبار موظفى الدولة مجموعة من الموظفين المدنيين ورجال الدين. فقد كانت مصر دولة دينية لا ينفذ فيها شىء مدنى دون أن يباركه رجال الدين.

اهتم ملوك الدولة الحديثة بالوراثة الشـرعية للسلالة الملكية، إذ إن الصفة الإلهية للوك مصر القديمة كانت تنقل عن طريق النسـاء، وليس عن طريق الرجال، ولهذا كان المهم أن يكـون ولى العهـد ليس فقط ابن ملك ولكن أيضا ابـن أميرة من الدم الملكى. فظهر فى عهد الملـك أحمس الأول – للمـرة الأولى – لقب «الزوجة الإلهية لآمون» وكان يطلق على زوجة الملـك وأم أولاده التى تقوم بدور دينى مقدس فـى المعبد. وعلى هذا أصبح من المفروض أن يكون ولى العهد ابن أميرة بنت ملك وزوجة ملك وبنت الزوجة الإلهية لآمون.

وقد يلجأ الملك أو الملكة إلى المصدر الإلهى لكى يهرب من تقاليد الوراثة الشـرعية مثلما فعلت الملكة حتشبسـوت، ومن بعدهـا الملك أمنحتب الثالث، لتـبرر أحقيتها فى ارتقاء العرش وذلك عن طريق التناسل الإلهى، والانتساب إلى الإله آمون إله الدولة. وبهذا يصبح ابن الإله أو بنت الإله ويتفوق أو تتفوق على أبناء البشـر. حيث تكررت الأسـطورة التى ابتدعها كهنة إله الشـمس فى هليوبوليس فى الدولة القديمة مرة ثانية فى الدولة الحديثة

ولكن فى طيبة هذه المرة ومع الإله «آمون»، إذا جاء فى النقوش على المعابد ما ملخصه أن الإلـه «آمون» أراد أن ينجب ملكاً يقوم بتشـييد (منـازل) للآلهة وتكثر على يديه القرابين التى تقدم لها فكان أن اختار زوجة الملك تحتمس الأول، وعندئذ تقمّص آمون شكل زوجها الملـك تحتمس واضطجع مع الملكة التى قالت له: «لقد أسـبغت على جلالتى من عظمتك وتسـرب نداك فى كل أعضائى» ثم حملت وولدت وسميت الابنة (حتشبسـوت) كما أمر بذلك «آمون رع».

ويستمر انتساب الملوك إلى الآلهة مدعين أنهم أبناء لهم، حتى لقد كان تحتمس الثالث (الأسرة الـ ١٨) على درجة عالية من الأخلاق والتواضع إذ يقول عن نفسه:

«إنى لم أنطق بكلمة مبالغ فيها ابتغاء الفخر بما عملته فأقول إنى فعلت شـيئاً دون أن يفعله جلالتى ولم آت بعمل فيه مظنّة، وقد فعلت ذلك لوالدى الإله آمون لأنه يعرف ما فى السماء ويعلم ما فى الأرض ويرى كل العالم فى طرفة عين».

وتكررت القصة مرة أخرى مع رمسيس الثانى إذ تقول: إن الإله (بتاح) قد أكد لرمسيس الثانى أنه قد تنبأ بالأعمال العظيمة التى سيصنعها له هذا الملك فقال:

«اضطجعت بجانب أمك الجميلة لكى تلدك وأصبحت أعضاؤك كلها إلهية!»

وقد دونت هذه القصة فوق جدران معبد أبى سمبل الذى بناه رمسـيس الثانى. وما دام الملك قد ولد كابن للإله فلابد أنه لا يموت ميتة الآدمى فإذا ما انتهت حياته السعيدة فهو يصعد إلى السماء ويندمج فى قرص الشمس التى خرج منها.

وهناك أشياء أخرى اكتسبها الملوك من تلك القصة المزعومة التى اعتبروها من خصائصهم كأولاد للآلهه وكائنات إلهية، فها هو ذا الملك يحمل فوق رأسـه الصل مثله فى ذلك مثل إله الشمس، والصل هو ذلك الثعبان أو الأفعى التى تحرق الأعداء بزفيرها النارى، وأصبح الصـل هـو الرمز الملكى يضعه الملك فوق جبينه أو فوق تاجه. وأهم من ذلك أن الملك أصبح ينظر له بأن له اتصالا خاصا بالآلهة فهو منهم وابنهم، وهم آباؤه. هكذا كانت مكانة الملك فى مصر القديمة وهكذا كانت قدسيته.

❑❑❑